• الصابرون

تأليف : جاك أوديبرتي
ترجمة : د. نعيم عطية
مراجعة : يحيى حقي

الصابرون
مقدمة بقلم المترجم

« **نبع الجديان** » هي الام التي تخاف على ابنها الوحيد « **زهرة اللؤلؤ** » من ان يذهب ضحية الحرب الدائرة دون ان تفهم لها معنى . وعندما يقبل الجند الى بيت الخزاف تحاول جاهدة ان تخفي ابنها وتتمنى ألا تكون قد ولدته حتى يظل آمنا في رحمها .

وقد عاش زهرة اللؤلؤ صبيا في دكان المعلم العجوز ينفض التراب عن مشغولاته الخزفية . ويستمع الى حكمه وفلسفته ويشترك في اللعب مع العجوز وابنته ناسيا التي يحبها زهرة اللؤلؤ ويتمنى ان يفعل اي شيء يكسبه رضاها .

وعندما يذهب « **زهرة اللؤلؤ** » أو « **جان** » الى الحرب ارضاء لصديقه طفولته ناسيا تصب عليها الام العجوز « **نبع الجديان** » لعناتها فتقول لها « ناسيا ، انت ، يا أيتها الضفدعة العطنة ! انت . انت السبب. ولو كان لي اسنان لغرستها في ردفيك » وتمضي الام جزعة تسأل الغادين والرائحين عن ابنها فيسخر منها الناس قائلين « ابنها ! ماذا تظن هذه ! الابناء جميعا ، اين هم ؟ لم يبق من الابناء احد . ما من ابن بقي » وهكذا تتحول مشكلة « نبع الجديان » الى مشكلة عامة تخص الامهات جميعا . وفي هذا تقول للجنرالين هوم وهوج « وددت ان تحادثكما امهات اخريات كما احدثكما انا ! تسمعانهن ، على ما ارجوه ، في كل الارجاء ، ويبكين . هذه تزمجر ، وهذه تولول ، وهذه تصرخ . الامر قاس . اتسمعانهن ؟ كل منهن تستجدي ابنها . والابناء يطالبون بما فقدوا من اعضائهم . ذراعي ! ساقي ! ركبتي ! كم من حساب عليكما ان تؤدياه . احس بالخوف . احس بالخوف من اجلكما ... ان شقائي كبير بحجم الارض كلها » وترفض ان تجرى لابنها مراسم التكريم التي تجرى للجنود القتلى كما ترفض كل تعويض وتحادث ابنها الميت قائلة « تعال ، يا بني ، تعال مع امك . سأنام الى جوارك . سنبحر جنبا الى جنب ، وقد ادار كل منا عينيه نحو الاخر . » .

اما ناسيا فهي الفتاة التي تتحول سريعا من صبية غريرة تلعب العاب الاطفال مع جدها العجوز الى امرأة انضجتها الاحداث . وتقول لرفيق صباها زهرة اللؤلؤ « البنت في سن السادسة عشر يكتمل نضجها ، اما الصبيان فلا يزالون في هذه السن اطفالا رضعا ! » وتستهوى ناسيا مظاهر القوة البراقة ، الاسلحة والخوذات والشارات والاوسمة . وعندما يدخل الى بيت جدها كل من الكولونيل هوج

والكولونيل هوم ، فانها تنبهر بمظهرهما ومنكبيهما العريضين وتسكر بكلامهما عن الاوامر التى يصدرانها والمعارك التى يخوضانها . وتفرى صديقها الوديع « زهرة اللؤلؤ » ان ينخرط فى سلك الجندية ايا كان الجيش الذى سينضم اليه ، يكفى ان تراه لابسا خوذة . وينزل الصبى الرقيق على رغبتها كى يفوز بحبها ويقول لها وهو يغادر بيت المعلم العجوز « سأفوز بخوذة . ناسيا ، عندما افوز بخوذة هل ستقبلينني ؟ خبريني ، هل ستقبلينني يا ناسيا ؟ هل ستقبلينني ؟ . » ولا يأبه الصغير لتحذيرات العجوز الذى يقول له « لا ترحل . سيكرهونك على التعذيب . جان ، ما ابتغت يداك التعذيب يوما » وعندما يسأله العجوز سؤالا اخيرا « لكن لماذا هذا ، يا صغيرى ؟ لماذا ؟ » يقرر له « كى تقبلنى . هاك السبب ! »

وتمضي ناسيا مع الحرب ، تنضج على نارها ، وتغنم منها . تغنى اغانى الجند . وتبيع جسدها وارزها للجميع . فهى كما تقول « بلا قلب » الارز يجلب المال والمال يجلب الارز » وتقول « **بيع الجديان** » للمعلم العجوز عنها « بنتك الافعى باعت ارزها . تقلب بين يديها مالا وفيرا ، ويقول العجوز لناسيا متحسرا « بالامس كنت ، ياصغيرة ، بالامس كنت تناغين دميتك » فتقول له ناسيا « نار الحرب تنضج النساء . كسبت بأرزى في امسية واحدة اكثر مما كسبته باطباقك منذ أن بدأت العمل . » ما عادت ناسيا تؤمن بشيء الا بالثره والكسب الحرام . وينفخ المؤلف فيها نفحات الشر والقسوة التى لا تخلو منها طبيعة المرأة رغم ما يبدو من وقتها . انها حواء التى اغرت ادم على التردى فى المعصية . وهذا ما فعلته ناسيا بزهرة اللؤلؤ . ولكن ناسيا التى لم تستمع الى نصيحة جدها العجوز عندما قال لها محذرا « ناسيا ، يا بنيتى الصغيرة ، هذه الاسلحة مليئة بالعذاب . فيها يتجمع الشقاء ويتركز متأهبا ان يثب الى الجسد التعس » تدفع فى النهاية ثمن زلتها الكبرى ، وهى تحمسها للحرب ، واعجابها بالمحاربين . اذ لا يلبث ان يعود القائدان هوم وهوج الى بيت الخزاف وقد عقد بينهما هدنة قصيرة يتفقان فيها على تقسيم الاقاليم التى يتحاربان من اجلها ، ويتخذان من جسد الفتاة خريطة

لهما . يقول لها هوم « استلقى يا فتاة على هذا الحصير » ويردف هوج قائلا «كونى فخورا . تحت انظارنا ستمثلين الارض » ويرقد الجنرالان ناسيا على الحصير . ويمضيان يقتسمان الارض بطرفى سيفهما ، يشقان بهما جسد الفتاة الراقدة يقول هوم « تتبع الخط الذى اشقه . انى اخذ ما هو ممتد من هنا الى هناك وتصرخ ناسيا « احس بانى تمزقت تماما .. انى ادمى .. ادمى .. ادمى . » ويقول المعلم للقائدين « انكما تقتلانها . تمزقانها . سيفاكما يعذبان مثل فكين مفترسين » وتلفظ ناسيا انفاسها الاخيرة وهى تقول « اتفق السيفان على النفاذ الى القلب . عرفت ان لى قلبا فى اللحظة التى افقده فيها . كل شيء يضحى سوادا » .

ماتت ناسيا كما مات من قبل زهرة اللؤلؤ . فالحرب لا تدع احدا على قيد الحياة ، سوى الجنرالات الذين يتبارون في لعبة لا يعرفان بالضبط لماذا يلعبونها سوى انهم يشبعون بها شهوات حمقاء .

ويقرر المعلم العجوز الذى يأمل فى تغريد عصفوره ان يضع نهاية لآلام البشر ـ يقرر ان يضع النهاية بنفسه ويقول « رأيت البيوت تتقاطر مهدومة مثل البهائم تحت وقع العصا . رأيت الجموع تجرى مثل نهر استبد به الخوف . رأيت من يموت . وليس الموت شيئا ذا بال . رأيت من يتعذب ليس من الممكن ان يكون العذاب شكلا من اشكال الخير . فلتتفجر هذه القنبلة . »

ويعود يقول لنا المعلم العجوز من عالمه الآخر « كان الامر ومضة . كان مفاجأة .. رأيت الموتى وقد ارتسمت على وجوههم اعمار الحياة كلها يجرون نحوى وقد امتلأت ايديهم بالعذاب وقصائد الشعر . وانا الآن ميت بدورى .. اوجد فى مكان اجهله .. مات الجنرالات ، ومع ذلك فالحرب ماضية فى كل مكان من حولى .. »

احتفظ المعلم الفنان على الدوام فى قلبه بأمل كان هو عزاءه وسلواه . ان فى متجره عصفورا ، من عرفه الى ذيله أبدع صنعه ، بلا خلل ، من خزف ناصع البياض يتلالا لرائيه ، وهو ابسط وانقى الف مرة فى شكله من شكل الدبابة الزاحفة كالجراده ومن شكل الطائرة المزمجرة فى السماء كالنمور الغاضبة . انه اذن اقوى من كل ادوات الدمار ذات القوة الهائله وهو اقوى منها ليس لانه عمل فنى فحسب ، ابدعته انامل فنان ولكن لان هذا العمل الفنى ينطوى على امل أو قدرة ، ذات يوم ، سيفرد هذا العصفور من تلقاء ذاته ، سيفرد ذات يوم باسطا جناحية الوضيئين وسينطق بالخلاص . وفى ذلك اليوم سيموت الشقاء . ولكن أى يوم هذا ؟ انه غير معروف ولكن « ربما عندما يضحى جبل الالم من الضخامة بحيث يحمل عظم الغفران . »

ويخاطب المعلم العجوز عصفوره قائلا : « ياسيدى العصفور يامن تسمعنى ، منذ اليوم الذى صنعتك فيه كل اولئك الذين يتعذبون فى الطرقات يجب ان يشفوا مادمت على قيد الحياة ، ياايها الشىء المخيف الخالص ، ياايها العجيبة الهائلة ، شكل فيك الاغنية من اجل الحب . الرعب والجنون بعيدا فلا يكون لهما عودة . « ياسيدى العصفور ، اجب ، كى اسمع صوتك ، فلينطلق صوتك وليمنح الشفاء . غن أيها العصفور ، غن ! وليتحقق العقاب الذى لا اسم له وليحطم صوتك الكابوس الذى ندور فيه . غن ياسيدى العصفور »

ويتأمل المعلم أحوال العالم فيقول « هذا العالم كتله من الشقاء . يجب أن ينفجر فى النهاية . » ويجرى المعلم العجوز مقارنة بين الواقع والفن فيقول « العالم مع ذلك باق هناك . البروق والشقوق والحفر هى النسيج الذى يتكون منه العالم . يعجبنى فى مشغولاتى الخزفيه انها تعرف كيف تسلم من الخدوش . يامشغولاتى الخزفية ، انت يارفيقاتى ، ويا أخواتى ، لا عمل لكن الا ابرازكن ـ بفضل المقارنة بين النقيضين ـ مافى الشر والشقاء من دمامة . » ولكن الخزاف العجوز يعود فيتحسر على عجز الفن عن طرد الشقاء من هذا العالم فيول « وانت ، ياسيدى العصفور ، يامن انت اكثر وضاءة من لازورد النجوم . ولست اقل قيمة وقدرة على التوازن والتصميم من أجنحة الطائرات اسفاحة . انت ،

انت ، ياسيدى ، لم تطلق رنين صوتك الذى يجلب العزاء » ويمضى الخزاف فى حسرته من عجز الفن عن تحقيق السعادة والعزاء للبشر فيقول « لست سوى قليل من الطين وقليل من طلاء خزفى . ان روحى ابدعتك ، ويدى شيدتك . ولا زالت ليدى القوة ان تدمرك . » فتجيبه ناسيا التى حنكتها التجارب بعد ان خرجت تلتقى بالجنود وتغنى اغانيهم السمجة الحزينة ، وايضا لتبيعهم ارزها وجسدها. « جدى . انت مجنون ، بالطبع انه لا يغنى .. هلا تركته وشأنه .. انك ترى انى اقوى منك » .

ويصل الامر بالمعلم العجوز وقد تضاءل ايمانه بالعصفور أن يقبل ان يهبه للجنرال هوج فيقول له « لو اردت هذا العصفور الصموت الخداع فانى اعطيه لك . خذه ولكن هذا العصفور او هذا الامل يصمد حتى فى مواجهة الموت والدمار الشامل فقد شرخته القنبلة التى فجرها المعلم العجور حتى يضع نهاية للشقاء الانسانى « لكنها لم تدمره » واذا تأبى على التفريد فلان الحياة بكل شقائها وسوادها لا تكون ذات وجود بغير انتظار الامل وتوقعه .

نجد فى مسرحية « **الصابرون** » تطبيقا لعديد من الافكار الرئيسية التى رأيناها فى مسرح اوديبرتى بصفة عامة ، فالمسرح ليس هو الواقع بل انه « عالم الاكاذيب المصرح بها ، عالم الايهام المقبول . » وفى « **الصابرون** » نجد حقا هذا العالم « من الاكاذيب المصرح بها والايهام المقبول » ونسمع فى جنباته حوارا متقن التلوين مفعما بالخيال. لا يلجأ فيه المؤلف الى التعبير المباشر بل الى اداة الشعر ، فيقدم افكاره ورآه فى صيغ غير مألوفة تشحذ الخيال ، وتبعث على التأمل ، وتحمل على الوقوف أمام العبارات فى استجلاء دلالالتها التى تتعدد فى بعض الاحيان ، حتى تثير فى قلب المستمع الرعشة التى يحققها الشعر الجيد . ولهذا فان « **الصابرون** » مثل اعمال اوديبرتى تستحق وصف « **السهل الممتنع** » فهى تبدو سهلة البنيان سلسة المنطلق ، ولكنها مغزولة فى براعة بشتى الالوان والاضواء ، والاصوات والصور . مما يجعل لهذه المسرحية عند استيعابها ايقاعا خاصا اجاد اوديبرتى تحقيقه . ومن حوار منثور تهب نسمات الشعر ونغمات الموسيقى . حتى انه يصف مسرحيته « **الصابرون** » بأنها « **قصيدة انشادى** » لان اوديبرتى كما رأينا يدخل فى زمرة شعراء المسرح الحديث .

وهذه المسرحية بدورها تعالج الموضوع الذى لا ينضب معينه عند اوديبرتى وهو الصراع بين الخير والشر ، والامل عبر اكوام من الاشلاء الانسانية والخرائب التى هدمتها القنابل . وعلى الرغم من سحب الدخان السوداء التى تكتنف العالم خارج بيت الخزاف فلازال أهل البيت يلعبون ، ولا ينسون طفولتهم . بينما بلغت الانسانية خارج البيت اقصى درجات شيخوختها وتدهورها ولكن لازال الامل قويا فى أن يفرد العصفور الخزفى . بصوته الذى سيمنح الانسانية السلام ويطرد عنها كل الهموم والشرور . على ان الداخل لايمكن ان يقف منفصلا وعندما خطا أهل الخارج داخل البيت جلبوا معهم الخراب والاحزان .

ويتجلى فى « **الصابرون** » ما سبق ان قلناه عن مسرح اوديبرتى بصفة عامة من **لامعقولية الوجود وهزلية الحياة . وهزلية الحياة هنا تقطر دموعا ودما** . وتنطوى على ادانه لاولئك الذين يحيلون الحروب الى لعبة رهيبة لتحقيق اطماعهم الزائلة . يقطعون فى سبيلها اوصال الانسانية ، ويخطون على جسدهابأسنةالحراب والسيوف نزواتهم دون اكتراث بصرخات ذات الجسد الذى يتمزق تحت وطأة سنابكهم . وهل كثرث هوج اوهوم بأنين ناسيا وهما يتخذان منها خريطة لعالم يقتسمان عليها أسلابهما وغنائمهما وكأن لا شىء فى الدنيا له شأن سوى ارادةصاحب السلاح !

وتنطوى « **الصابرون** » أيضا على فكرة حبيبة الى المسرح الحديث بصفة عامة وهى فكرة « **الانتظار** » فى جو كابوس قلق ، فالمعلم واهل مشغلة ينتظرون ان يطلق العصفور أغرودته فيزهو الزمان وتتبدد الرزايا والاحزان . ولكن هل غرد العصفور ! ويمضى المعلم فيتساءل فى نهاية المسرحية بل ولماذا يغرد !

وتقوم « الصابرون » على تقارع عالمين عالم الواقع الفظ وعالم العلم والطفولة عالم الفظاظة وعالم الفانتازيا والشعر ، والمعلم ولا شك شاعر فنان . يصوغقصائده مشغولات خزفية تجمع بين الدقة والجمال . واما هوج وهوم فهما رسولا الشقاء والتعاسة فى هذا الوجود. يتلذذان بالقتلوالتخريب ،ويتباريانفىالتدمير والقسوة ويبدو أن مهرجين شريرين للقوة الحمقاء .

ويستمتع اوديبرتى حقا باستخدام اللغة فى مسرحية « **الصابرون** » ويصعد بها الى قمم عالية من الابتكار والطلاوة . ولا يبدو بحال مقتصدا فى استخدامها وتضحى هذه اللغة كلما اقتربنا من نهاية العمل انفجارا من البهارج الصوتية ينطوى على سكينه تتعدى حدود الوضع الانسانى الراهن بكل تعاسته . ومهما ادلهمت الظلمات فى ختام المسرحية فلا يلبث ان يتبدد الدخان الاسود وتبدو للمعلم رؤيا فيها من الخيال مافيها ولكن فيها ايضا الكثير منالدعوة الى التفاؤل والتشبث بالخير الانسانى . فعلى الرغم من حجافل الظلام فلا زال على الدوام هناك بصيص من نور أو ثمة خلاص . وتقف بذلك ازاء مسرح رمزى تحيطه غلاله أسطورية تجعله قابلا للعدد من التفسيرات . والايحاءات .

ويطعم اوديبرتى مسرحيته بالاغانى . وهو يعول كثيرا على الغناء فى اعماله المسرحية ويعتبر المسرحية فرصه طيبه لان يبث الانسان اشجانه فى صوته الذى يسمعه الى جمهور المتفرجين ، فتمس شغاف قلوبهم .. ولعل من أبرزمافىمسرحية

« **الصابرون** » ايقاعها الدرامى المنضبط ولا يقتصر الامر فى هذا المقام على الغناء بل ان الموسيقى – وهى موسيقى من نوع معين يتفنن وديبرتى فى وصفها والايحاء بها – تسهم فى بناء الايقاع الدرامى. والذى ينقد اوديبرتى من التردى بمسرحية «**الصابرون**» الى هوة التعاسة المخيمة على العمل كله هو نزعته الشاعرية .. فهو وان كان يخوض بنا غمار المعارك وتتناثر الاشلاء وتولول الامهات فى طلب ابنائهن ، الا ان الجو الاسطورى للعمل يكفل له صفاء بلوريا لاتعكره سحب الدخان المتصاعده من القذائف والحرائق ويبنى اوديبرتى عمله على افه البشرية منذ ان وجدت وهى الحرب والدمار . حتى لتبدو لنا شخوصه حديثه .. شديدة الحداثة وفى الان ذاته قديمة موغله في القدم وهى دمى بشريه تحركها خيوط ماكره خفيه . ان الحقيقة الواقعية تتحول بين يدى اوديبرتى فى « **الصابرون** » الى حكاية خرافية تحكى الدهر كله .

العنوان الأصلى للمسرحية

LES PATIENTS

Poème à voix

Musique de Marcel MIROUZE

شخصيات المسرحية

Le Maître a L'oiseau	المعلم العصفورى
La Jeune Nassia	ناسا الفتاة الشابة
Paquerette	« زهرة اللؤلؤ »
Madame Chevre fontaine	السيدة « نبع الجديان »
Colonel Houg	كولونيل هوج
Colonel Houm	كولونيل هـــوم

★★★

الصابرون

قصـــيد انشادى

(تجرى الأحداث في جمهورية الصبر عند « المعلم العصفورى »)

(افتتاحية موسيقية قصيرة ، سلسة ، تتخللها فرقعة صناجات ثلاث مرات ، ثم تليها فرقعة أخرى ، وبعد ذلك يعم الصمت)

المعلم العصفورى : (في السبعين من عمره) ايه . حسنا ! توقف الصخب كل شيء على مايرام .

ناســـيا : (في السادسة عشرة من عمرها) توقف ، لكنه سيعود من جديد . الأرز الذى تبقى وضعته بأعلى الأرفف في قبعتك القديمة ، أشد قبعاتك سوادا ، وأكثرها قدما . لن يكتشف أحد بذلك أين خبأنا أرزنا .

المعـــلم : كبرت ، ياناسيا ، وصرت مكيرة .

ناســـيا : أتشكو من ذلك ، ياجدى ! أتشكو من ذلك ! بغير هذا المكر قل لطعامنا الوداع ! لن ينتشلنا السيدزهرة اللوؤ من الورطة .

زهرة اللؤلؤ : (في السادسة عشرة من عمره) ناسيا ، أنهاك عن مناداتي بزهرة اللؤلؤ . اسمى جان . أبلغ من العمر ستة عشر عاما . واني قادر على . . قادر على . . .

ناســـيا : على أى شيء، أيها الغبي المسكين.قل على أى شيء ؟ انك تتابع المعلم ببصرك وسمعك . هل تعتقد أنه هكذا يحافظ المرء على حياته ويدافع عنها ؟ أيها الطفل

زهرة اللؤلؤ : طفل . . . ولكنك بدورك ليس لك من العمر الا ستة عشر ربيعا .

ناســـيا : البنت في سن السادسة عشرة يكتمل نضجها ، أما الصبيان فلا يزالون في هذه السن أطفالا رضعا !

المعـــلم : انكما طفلان ، أنت وهى . بل أنا نفسى لازلت طفلا . أعترف بذلك . أتعرفان ماذا يفعل الأطفال ؟

ناســـيا : من ؟
وزهرةاللؤلؤ

المعـــلم : الأطفال . يلعبون . نحن أطفال . فلنلعب .

(موسيقى قصيرة ، سريعة ، دقاقة)

زهرة اللؤلؤ : ماذا تقول ؟

المعـــلم : أقول فلنلعب . أسرعا ، أيها العزيـــزان . أعـــدا خشبة المسرح . سوف نلعب لعبة الستة والثلاثين . هيا . . . تعرفانها جيدا . . . لعبتنا في الماضى .

ناســـيا : « الماضى » أصبح الآن كلمة من كلمات الماضى . ماعاد شيء يهم الا اللحظة الحاضرة .

زهرة اللؤلؤ : وهل تصلح اللحظة الحاضرة كى نلعب ؟

المعـــلم : لحظة اللعب ، أيها العزيزان ، هى عندما نلعب . اجلسا على كعوبكما . أنت ، يافتاى ، أعطيك الحصان . وأنت ، ياصغيرتي ، خذى النعجة . وسنحتفظ في الكيس الذى سندس به ايدينا بسائر الحيوانات الاخرى ، السلحفاة ، البقة ، والديك الرومى اللطيف . اليك ، ياجان . اليك ! احترس ! أنت تمعن في غرس جوادك الخزفي في أرضية المسرح الخزفية .

زهرة اللؤلؤ : معذرة .

ناســـيا : زهرة اللؤلؤ يموت من الخوف .

المعـــلم : نحن على قيد الحياة . نحن في الحياة ، في متجرنا ، وننتظر الزبائن . أهناك ماهو أبسط وأوضح من ذلك

زهرة اللؤلؤ : الزبائن ، يامعلم ، يامعلمى ، أنت تمزح .

المعـــلم : أقول إننى بأنتظار الزبائن ، وتجد إننى بذلك أمزح ؟ الحياة هى التى تمزح وتهذى .

ناســـيا : هيا ، ياجدى ، لن تعطينا محاضرة .

المعـــلم : أنا بائع خزف . منذ خمسين عاما أقمت متجرى هنا ، من الطوب والخشب ، في أحد الثلاثين الف مكان التى تتألف منها مملكة الصبر . . أنتظر الزبائن لاأستطيع أن أذهب وأجرهم من أنوفهم . فلنمثل يأيتها الهرتان الصغيرتان . . .

ناســـيا : ماعادت مملكة الصبر سوى مذبح تتصاعد منه الأبخرة ومع ذلك فانك ، ياجدى ، تظل راضيا . مامن شيء يؤثر فيك . هل أنت مخلوق من الخزف ؟ . . .

زهرة اللؤلؤ : بل قد يُعْتقدُ ، أيها المعلم ، يامعلمى ، أنك اليوم أكثر أنشراحا من المألوف . ومع ذلك . . . فان نمور الموت على الدوام محومة .

(نغمة من محرك سريع منفرد)

المعـــلم : في قبعتى القديمة ، أخفيت ياناسيا ، أرزنا .

ناســـيا : بدرت في حشيتينا منه أيضا .

المعـــلم : أما أنا فأسهر على كنز مختلف ! ليس بطة ولادجاجة بل ليس عندليبا ولانسرا . انه مطلى ، صلب ، رقيق ومع ذلك ، فهو جبار . . .

ناســـيا : نعرف ! نعرف ! انه العصفور . . .

زهرة اللؤلؤ : ناسيا ! انك تعنفين والد والدك .

ناســـيا : تقصد جدى . آه . تعبيرك شاعرى ، تعبيرك شاعرى انه العصفور حقا . . . حدثنا عنه ، عن هذا العصفور

المعـــلم : العصفور ، من عرفه إلى ذيله أبدعتُ صنعه بلا أدنى خلل ، من خزف ناصع البياض حتى انه يتلألأ لرائيه أنه أبسط ، وأنقى الف مرة في شكله ، من شكل الدبابة الزاحفة كالجرادة ، ومن شكل الطائرة المزمجرة في السماء كالنمور الغاضبة .

ناســـيا : شكّلته بيديك . جمدته بالنار . انـــه عمل فـــنى ، عمل فنى بين كـــل الاعمال الفنية التى هنـــا .

المعـــلم : تخطئين ، ياناسيا ، تخطئين . حتى لو كان قد مر من النار ، وخرج من بين يدى ، فان هذا العمل الفنى ، كما تقولين ، لديه مايقوله ! هذا العمل الفنى ينطوى على أمل وعلى قدرة ، يتردد فكرى ذاته في التعبير عنهما .

ناســـيا : ولكن أى أمل ؟ وأى قدرة ؟

المعـــلم : ذات يوم ، سيغرد هذا العصفور . من تلقاء ذاته ، سيغرد ذات يوم ، باسطا جناحية الوضيئين إلى مالا نهاية ، دون أن يترك مع ذلك الارض . هذاالعصفور وليد حكمتى ، وقد صار فجأة أكبر من الكون ، سينطق بالخلاص . في ذلك اليوم سيموت الشقاء .

زهرة اللؤلؤ : أى يوم هذا ؟ قل لنا ، يامعلم . . . أى يوم هذا ؟

المعـــلم : ربما عندما يضحى جبل الألم من الضخامة بحيث يحمل عظم الغفران .

ناســـيا : أما في الوقت الحاضر . . فالنمور المزمجرة . . تحلق فوقنا . (يسْمعُ أزيز طائرة . تدخل السيدة « نبع الجديان » والدة زهرة اللؤلؤ والعاملة بحلب الماعز)

نبع الجديان : ابنى . . . أين ابنى ؟ . . . جان ، أنت هنا ؟ بخير . أسرع في القرية ضباط . . يبحثون عن الرجال . . أفترض أنهم أعتبروا أبنى رجلا ، سيلبسونه الخوذه وعندئذ ، بامكان النمور المزمجرةأن تعود إلى حظائرها سيكفى ثقل الخوذة كى ينهد الصبى . انه جد رقيق ، ورهيف !

ناســيا : انظروا ! هناك . . . امام الباب تماما . . . ثمة خطاب يســقط .

المعــلم : خطاب ؟

زهرة اللؤلؤ : ورقــة مكتوبة .

المعــلم : السماء تكتب لنا ، اقرأى ، ياصغيرتى ، اقرأى . . .

ناســيا : « يا سكان القرية الزرقاء . . .

نبع الجديان : القرية الزرقاء ! . . . انها قريتنا ، ياللمصيبة !

ناســيا : « ياسكان القرية الزرقاء ، نحن ساهرون عليكم . اننا قادمون . شددوا قلوبكم . ادفنوا انفسكم ! ادفنوا أنفسكم مثل بذور البقول التى تزرع في الربيع »

المعــلم بذور البقــول !

ناســيا : بذور البقول التى تزرع في الربيع . هذا هو مكتوب . في الربيع « فليضع كل منكم على رأســه من الطين غطاءً . . الحرب مقدسة . الحرب لاتبدأ الا لكى تصل الى منتهاها ، ومع ذلك فالحرب هى اعــدى اعداء الحرب . ادفنوا انفسكم . اننا قادمون » .

المعــلم : قادمون . . قادمون . . ولكن بأى من الجيشــين المتخاصمين يتعلق الأمر ؟

ناســيا : لا أدرى . الورقة عند موضع التوقيع ممــزقة .

زهرة اللؤلؤ : ألا يجدر ان اذهب لكى احفر في الأرض مستقرا لى ، مثل بذرة بقول في الربيع ؟

المعــلم : جان . . ما شأنك والحفر ! كنت اعتقد انك تفضل

ان تسمعنى اروى لك حكاية الفيلسوف الكبير الذى لوى قدمه كى لا يسحق بها على الارض خنفساء .

نبع الجديان : انا لا أريده ان يذهب ليحفر . قد يراه الضبـــاط ويأخذونه منى .

ناســـيا : النمور قادمة . اسمع الزهور المرسومة على الســـتار تصرخ .

(موسيقى)

نبع الجديان : اسمع الاشجار المنقوشة على القنينات تبكى .

(موسيقى)

زهرة اللؤلؤ : اسمع حيوانات لعبة السادسة والثلاثين تنوح وتتعذب .

(موسيقى)

المعـــلم : انتم مجانين ، كلكم . بالخارج ، ربما كانت الطبيعة ترتعد ، اما هنا فكل شيء يظل ساكنا متوازنا . ومع ذلك . . .

ناســـيا : أوه ! اعرف ماستقول . ستقول ان العصفور ، عصفورك الجميل ، عصفور الامل والقدرة . . .

المعـــلم : كلا ، ياصبية ، كلا . سأقول انه لن يحدث لنـــا ما هو اســـوأ من اننا ولدنا ! فلنلعب . . .

نبع الجديان : نلعب ! . . . منذا الذى يتحدث عن اللعب . . . لعلى مجنونة . . . كل القرية اندثرت . الارض التهمت شعبنا . انا نفسى خبأت اخر عنزاتى .

زهرة اللؤلؤ : المسماة « شمس الالبـــان » .

نبع الجديان : اجل ، مسكينتنا شمس الالبان . غطستها في الارض ، كما لو كانت الارض بحرا . ماعاد يُرَىَ منها سوى طرف قرنيها بمـــا يسمح لها ، لهذه المسكينة ، ان تتنفس . حتى ضباط الشرطة ، آه من هؤلاء ! . . حتى ضباط الشرطة ، دبروا لأنفسهم ثقوبا وحفرا . وانتم ، في هذه الاثنـــاء ليس حتى بين اسنانكم قليلا من الطين ، عما تتحدثون ؟ عن اللعب ! هذا جنون ! هذا جنون ! اسرعوا ! اسرعوا ! يجب ان نختبىء . يجب على الاخص ان نخبىء ابنى الصغير .

المعـــلم : هدئى من روعك ، ياجارتى . . . هدئى من روعك..

نبع الجديان : اهدىء من روعى . . . ان لحيتك بلغ بياضها منتهاه منذ وقت طويل ، حتى لم يعد لها الا ان تســوَّد من جديد . . . ولكن ابنى . . . حذار . . . ثمة شخص قادم . . ربما كانوا الضباط . . . بسرعة ! بسرعة ! يجب ان نخبئه . في حشيتك ، يابنيتى ، في حشيتك .

ناســيا : غير ممكن هذا . . انها ممتلئة تمـــاما . .

نبع الجديان : اذن ، خبئيه في الدولاب .

ناســيا : والدولاب ممتلىء بدوره . بالارز ممتلىء .

نبع الجديان : ايتها الصغيرة القذرة . يامن تبدين كما لو كنت تزنين كل شيء ، انك لست صالحة حتى ان تجدى في بيتك او تحت مئزرتك الشق الذى يناسب ان يهرب اليـــه ابنى ! جان ، يابنى ، ليتنى لم افطمك حتى كنت استطيع الآن ان اخفيك تحت مئزرتى . لمـــاذا لم تبق

جنينا في بطني . ما اسرع ان يكبر صغارنا . آه ، لو امكنني ان اخفيك ، وانت نابض بالحياه داخـــل رأسي ! بسرعة . استتر خلفي . ثمة جندي قد اقبل .

(يدخل هوج) سيدي ، انت ضابط شرطة ؟

هـــوج : أنا ؟ ضابط ؟ وبالشرطة ؟ . . . انا قائد . . قائـــد معركة حربية . لو كنت تفهمين معنى هذه الخزعبلات ولكني ، كما ترينني ، فقدت جنودي . يفقد القواد جنودهم دائما ، يوما أو آخر ، سوف تقولين لي ... إن المعركة تحتاج الى الكثير منهم ، اما انا ، فأقـــول لك انني فقدت جنودي في سحابة من الدخان . كنا نسير . . واذا بالسيقان المقطوعة تتطاير في الهواء . . . والرؤوس تشتعل مثل جوز الصنوبر . . . كنا نطلق النيران . . . فترعد الأرض . . وقد حدث هـــذا منذ اسابيع . . . وفجأة ، وجدت نفسي وحيدا ، في الخواء ، وبلا جلبة من حولي . . . ثم رأيت بيتكم . . . سليما ساكنا . . انها اعجوبة من الاعاجيب ، حقـــا .

المعـــلم : كما لا بد أن لاحظت ، ياسيدي ، اللافتة ذاتها تقول ذلك « اعاجيب » انى بائع اعاجيب . انظر ! ماذا تفضّل ؟ ماذا تختار ؟ صحفة الحساء هذه المزينـــة بحمائم لازوردية واشجار اللبلاب ؟ ام هذه الآنيـــة المستطيلة المرتجفة التي صُنِعَتْ كلٌّ منها من أجـــل زهرة واحدة ؟ سوف اخفض لك الاسعار . . ماالذي يروقك ؟

هـــوج : سأجلس . انني اشهق من شـــدة التعب .

المعـــلم : اسرعي ! يا ناسيا ! اسرعي ! احضري كرســـيا للكولونيل !

هـــوج : انني اشهق من فرط دهشتي . . كيف يحدث هذا ! البلـــد كله ، يجلجل بأنّات مضحكة ، وينبـــح ، ويرتجف في حضن الرعب . وانا شخصيا تورمت يدى لفرط ماقلبت سيفي الذى ينثر ومضات البرق ، بينما أنت هنا ، ياصاحبي ، تعرض على آنية مرتجفة ! لا اعرف ما اذا كان على ان انفجر من الضحك ام ان أُلْجِمَ لسانك .

المعـــلم : تلجم لسانى ؟ ولكن لمـــاذا ؟

هـــوج : كيف ؟ إنك تجهل الاحداث التى لاتكفكف من شرها ، وتقع من حواليكم . المعارك تتلو المعارك . ان البلاغات واعمال التخريب تتكوم جنبا الى جنب. هذا هو مايجرى . . . يبدو عليك انك لاتعبأ بالأمر ، وفضلا عن ذلك ، فانك تهـــزأ من الأسس العلمية . ان أصغر القواد شأنا يضنى نفسه ليل نهار في حساب مقاييس مرمى مدافعه الثقيلة أو الخفيفة السريعة ، بينما انت بين خزفك كأنما تسبح في سفينة دون ان يمسّك ادنى خدش . كان يجب ان تعلو وجهـــك مسحة الخجل !

المعـــلم : لكن اهو خطئى ، ياسيدى ، اذا كان مخزنى لاتطوله طلقات المدافع ، فهى على الدوام تلقى قذائف اما لاتبلغه واما تتجاوزه .

هـــوج : اتهزأ الآن بالمدافع ؟ هل تجرؤ على ذلك ؟ هذا غـــير معقول ! غير معقول ! افضل ان اتمدد بضع دقائق على هذا الحصير حتى لايستشيط غضبي .

(يرقـــد هوج)

ناســـيا : انظر ، يازهرة اللؤلؤ ، انظر . . . كم هو ضخم الجثة . سلاحه يبرق كالفضة . نام . يمكنك ان تخرج من خلف ظهر والدتك .

نبع الجديان : حذار ! هذا ضابط آخر ! جان ، عد ! فات الوقت ، فقد رآك . . .

ناســـيا : من الخوذة الى المهماز ، الثانى يشبه الأول . ياله من يوم أغـــبر ، من يوم أغبر حقا !

(فقرة موسيقية قصيرة تعلن عن دخول هوم)

هـــوم : تحية لكم . ألم ينهدم بيتكم بعد ؟

المعـــلم : اغفر لنـــا هذا الذنب .

هـــوم : ومع ذلك ، كل مكان منهدم مستو بالارض بـــلا استثناء ، مجتث ، وبقيت الأرض ملساء كبشرة الجبين او باطن القدم . ولكن ما عمل هذا الصـــبي الذى يمسك الفرشاة في يده ؟ لمـــاذا لم يجند هـــذا الصبي ؟

المعـــلم : انه صبي المحل .

نبع الجديان : صـــدره ينقصه الاتساع المطلوب .

هـــوم : وما عملك على وجه التحديد ؟

زهرة اللؤلؤ : عملى . . عملى ان . . ان اكنس ، اكنس الدكان ، وانفض عنه التراب ، ياسيدى .

هـــوم : عمل رائع ! رائع ! ينفى كل اعتراض عليه ! تنفض التراب ، ذرة تلو ذرة ، عن اطباق الحســـاء اللامعة هذه ، بينما كوكبنا ينفجر ويتخبط . رأسى تدور . شُلّت ذراعاى .

المعـــلم : زميلك ، ذلك الذى هناك . كان يقول انه يشهق من شـــدة التعب .

هـــوم : سوف ارقد الى جواره . انى مرهق . تورمت يدى لفرط ماقلبت سيفى الذى ينثر ومضات البرق .

ناســـيا : استغرق في النوم فورا . يبدوان مثل شجرتين ، من ايام ان كان ثمـــة شجر . يازهرة اللؤلؤ ! ايه ! يازهرة اللؤلؤ ! سيقتضى منك الأمر ان تشرب الكثير من الحساء العسكرى كى تصبح في ضخامة هاتين الشجرتين القويتين . تنبت في سيوفهم اشواك لامعة . سوف تطقطق دروعهما اذا مُرِبتْ عليها باظافرى . (موسيقى) سأذهب لأخلع عنهما هذين السيفين الثقيلين ، وسيضحى نومهما اكثر هدوءا . آه . كم يشدنى هذا المعدن الصلب ان المســـه !

المعـــلم : ناسيا . . . يابنيتى الصغيرة . . .

ناســـيا : كنت بنتك الصغيرة أمس . . اما اليوم فانا شـــابة مليحة .

المعـــلم : ناسيا ، يابنيتى الصغيرة ، هذه الأسلحة مليئـــة

بالعذاب . فيها يتجمع الشقاء ويتركز ، متأهبا ان يثب الى الجســـد التعس .

ناســـيا : لا أقول غير ذلك . . . لكن هذين المحاربين فتيـــان وسيمان ، حقا . . .

زهرة اللؤلؤ : ناسيا ، لو مضيت في كلامك ، ساصفعك ، وسوف ترين .

ناســـيا : انت ، تصفعنى . اتسمعون ؟ وانت اذا مضيت في ذلك سأطبق بفمى على فمك لتخرس . انتظر !

نبع الجريان : مهلا ، مهلا . . . لو حدث ان استيقظا . . .

زهرة اللؤلؤ : ايتها الدودة الوقحة !

ناســـيا : ايها الكتكوت المرتعد !

المعـــلم : ياولدى ، ياصغيرتى . . . سوف تهشمان العصفور . انى امسك بها . وانت امسكى به ، ياسيدتى . . .

هـــوج : (يستيقظ منتفضاً) اطلقوا النار ! ياجنود الفرقـــة الثالثة ! اطلقوا النار ! صوبوا الى الامام ! في البطن !

هـــوم : (بالمثل) اطلقوا النار في كل مكان ! ياجنود الكتيبة الاولى ! دمروهم ، اسلخوهم سلخا !

المعـــلم : ايها السيدان ! ايها السيدان ! لاتتزعجا ! . . . انكما لدى تاجر الخزف . . . كان الطفلان يتشاجران . هذا كل ما في الأمر . . .

هـــوج : كنت احلم . . . اخذنى صياحهما على غرة .

هـــوم : لم أنم نوما قصيرا بهذا العمق قط .

(من المناسب ان تعزف نغمة موسيقية تلازم كلام كل من هوج وهوم ، وتختلف للتمييز بينهما) .

المعـــلم : حاولت ان اسكتهما .

نبع الجديان : لاشك ، انه كان الأجدر بنا ان نخبئهما في باطـــن الأرض .

هـــوم : كلا . . . بالطبع كلا . . . هذه الصبية المزهرة في مكانها المناسب امام عيني . ياكولونيل ! . . . أليس ذلك من رأيك ؟ يالها من متعة لنا نحن الاثنين !

هـــوج : اجل ، يالها من متعة ! لكن ياللتعاسة ، ياكولونيل ، ياللتعاسة ، مادمنا قد رأيناها ، فما اصعب ان نموت. كولونيل ، حان الوقت على ما اظن ، كي نعود الى اعمالنـــا ؟

هـــوم : اظن ذلك ، ياكولونيل ، حان الوقت .

ناســـيا : لكن كيف يُعْرَفُ الكولونيلات ؟

هـــوم : لكل كولونيل رسم سنجاب مطرز على القلب .

ناســـيا : ينام احدهما ، فينام الآخر . ينهض احدهمـــــا ، فينهض الآخـــر . الاثنان متماثلان كمـــا تتماثل خوذتاهما الثقيلتان . كلاهما طُرِّزَ رسمُ السنجاب على قلبيهما ، ولكن دعاني اتأملكما . . . استديرا . . . استديرا قليلا في الضوء . . . لاحدهما عينـــان بلون العشب .

نبع الجديان : ماعاد للناس وجود في اى مكان ، ياأيها الصغيران المسكينان !

ناســيا : للآخر عينان سوداوان . . . ولكن كلا . لعلى مجنونة . . استديرا . . . هل يجب ان يكون الكولونيلات ، مادمتمامنهم ، متماثلين من الرأس الى اخمص القدم ، وفي لون العينين ايضا ؟

هــوج : ليس ذلك لزاما ، يا آنســة . . .

هــوم : ليس لزاما ، ولكن ليس في ذلك ما يتعارض مع النظام .

المعــلم : على الرغم من أني لا افهم شيئا في فن الحرب ، كما يقولون ، فاني ، ايها السيدان اعجب بالشبه الدقيق بين شخصيكما الرهيبين . ما انتما سوى ضابط واحد انعكست صوته على سطح مرآة .

هــوج : إن المشاة ، ياصاحبي ، مثل الخزف .

هــوم : انموذج واحد يتكرر آلاف المرات .

هــوج : ولكن مشغولاتك تخرج من النار ، بينما نحن . . .

هــوم : نحن الى النار نذهب . واليها نذهب وعلى شفاهنــا اغنيــة .

ناســيا : اغنية « كيتي » اراهن على ذلك .

هــوج : أتعرفينهــا ؟

ناســيا : إننا نرددها كما نردد أنفاسنا .

هــوم : غنى ، اذن ! غنى معنا !

(أغنيــة)

هــــوج

(١)

في المدينة الكبيرة ، هناك ،

على طول القناه ، تحت اشجار الكستناء ،
قبلاتي الأخيرة اضحت آخر القبـــلات ،
وضممت الى صدرى قلبك بين ذراعى .
(قرار انشاد جماعى)
صديقتى الجديدة
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك ، فاغفرى لى
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

هـــوم

(٢)

في المدينة الكبيرة ، هناك ،
امام محطة المترو ، على مقربة من الاوبرا ،
لن ألومك ، اذا لم تنتظرينى
ستجدين السلوى مع رجل آخر .
(قرار انشاد جماعى)
صديقتى الجديدة ،
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك . فاغفرى لى ،
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

(الجميع)

(٣)

في المدينة الكبيرة ، هناك ،
تجرى الاوتوبيسات الخضراء على الكبارى .
سوف تضيّعين وقتك ، لوكنت تردّين على .

الأجدى بك ، ياحبيبتى ، ان تذهبى لتشترى لك
لك جوارب .

(قرار ، انشاد جماعى)

صديقتى الجديدة ،
ستحتفظ بي على الدوام ،
بعيدا ، بعيدا عنك ، فاغفرى لى
ياكيتى ، يامن انت حياتي .

المعلم : ما أغرب شأنكما ، ايها السيدان . ان تتخليا عن عن السعادة التى تتغنيان بها اجمل غناء . من اجل ماذا تتقاتلان ؟

هوج : من أجل ماذا ؟ ألا تقرأ الصحف ؟ ان الناس على الجانب الآخر ثعابين .

هوم : كلا ب . . . نسور . . .

هوج : تماسيح ، عبثيون .

المعلم : هل تتمنيان حقا ان يهلكوا جميعا ؟ اتعتقدان انهم من طبيعة مختلفة عن طبيعتنا ؟

هوج : هوج !

هوم : هوم !

ناسيا : لماذا يقول احدكما : هوج ؟ ولماذا يقول الآخر : هوم ؟ لماذا لاتقولان انتما الاثنان اجل ؟

هوج : في بلادى ، التى تحميها الآلهة ، كى نقول اجل نقول : هوج !

هـــوم : في بلادى ، التى هى اقوى البلاد ، واكثرهـــا أنفة ، كى نقول أجل نقول : هـــوم!

هـــوج : هوج ! ايها القذر السافل ! سأنسقك نسفا !

هـــوم : هوم ! يا ابن ظبية نافقة ، انتظر حتى امزقك !

المعـــلم : ياصديقى العزيزين ، لا تتحركا . ابقيا ممددين جنبا الى جنب .

ناســـيا : اوه ! يازهرة اللؤلؤ . انهما ليس من معسكر واحد . سيهجم احدهما على الآخر .

المعـــلم : لكل منكما هذا الدرع الذى يعلوه غبار المعركـــة . ولكل منكما السنجاب المطرز على القلب . لـــكل منكما الاسلحة ذاتها التى للآخر . روحكما متماثلة . ياسيد هوج ، وانت ياسيد هوم ، مامن شىء جوهرى يفرق بينكما سوى طريقة نطق كل منكما كلمـــة اجل ذات المقطع الواحـــد .

هـــوج : هـــوج !

هـــوم : هـــوم !

هـــوج : بسرعة . . الى بسيفى . . . اني بحاجة اليه . . .

هـــوم : حالا . . . هنا . . . الى بسيفى . . .

ناســـيا : ساعدني ، يازهرة اللؤلؤ ، انه ثقيل . . .

هـــوج : هذا الفتى الناعم يخشى ان يلقى بانظاره الى سيفينـــا الظافريـــن .

هـــوم : تفضل ، ياولد ، ان تتحسس اباريق الشاى الـــتى

يصنعها عملك العجوز من ان تفعل مثل كل الناس ، وتجازف بخوض المعركة .

المعلم : انه لا يعرف من الحياة الا الخزف والفلسفة . .

هوج : الخزف !

هوم : الفلسفة !

هوج : وعلى ذلك ، فانه لايعرف ان النمور المزمجرة تتكون من . . .

هوم : من خطوط مفصلية . .

هوج : من شوارب رنانة . . .

هوم : من مخالب وليدة معادلات جبرية . . .

هوم : من انياب مكهربة . . .

ناسيا : زهرة اللؤلؤ ، ماذا يكون ظني بك بعد ذلك ؟

نبع الجديان : انه ليس طويلا ولا بدينا . وصدره صدر حمامة . آه ! حمائم الايام الخوالى ، لذيذة الطعم في طبق من البقول .

المعلم : أوه ! باللتعليقات البشعة المفاجئة !

نبع الجديان : جوعنا شديد !

هوج : ما من صدر يبلغ من الضيق مايمتنع معه العثور فيه . .

هوم : على موضع لطعنة أو لوسام .

ناسيا : ألا تخجل ، يازهرة اللؤلؤ . . ألا تخجل . . .

هوج : سأذهب لأنضم الى جنودى ذوى الخوذات ، هؤلاء

عندما يتاح لهم ادني وقت للفراغ ، يمارسون على هواهم التدريب ، بان يسددوا بسيوفهم الطعنات الى الرمال . من اجل تقوية ايديهم . يالهم من فتيان خشنين ! هـوج !

ناسيا : يازهرة اللؤلؤ ، سينتهى بك الأمر أن تجعلنى اكرهك

هوم : اما رجالى انا ، يازميلى ، رجالى انا ، فبإمكاني ان اقول لك دون ان اخون قضيتى ، وصل بهم الامر الى ان يقذفوا الجليد بالقنابل ، تصور ! من اجل المتعة . الجليد ! . . . من اجل المتعة . . .

ناسيا : يازهرة اللؤلؤ ! لن اكلمك بعد الآن ابدا .

زهرة اللؤلؤ : كفى ! كفى ! إني أنصرف .

نبع الجديان : انك تهذى . كل الآفاق نيران مشتعلة .

المعلم : جان ، لاترحل . . . سيكرهونك على التعذيب . جان . ما ابتغت يداك التعذيب يوما .

زهرة اللؤلؤ : سأفوز بخوذة . ناسيا . . . عندما افوز بخوذة هل ستقبّلينني ؟ خبرينى ، هل ستقبّلينني ، يا ناسيا ؟ هل ستقبّلينني ؟

ناسيا : اى المعسكرين اخترت ، هوج ام هوم ؟

زهرة اللؤلؤ : اخترت الفوز بخوذةٍ .

المعلم : لكن لماذا هذا ، ياصغيرى ؟ لماذا ؟

زهرة اللؤلؤ : كى تقبّلنى . هاك السبب !

هوج : ايها الشاب . اهنئك اننا نعطى لعساكرنا القهوة

بثلاث قطع من السكر ، واللحم البقرى المملـــح ، بالاضافة الى متر من نسيج الكتان الرقيق ، لتضميد الرأس اذا ماسالت منها الدماء . هوج !

هـــوم : اننا نعطى مزايا من النوع ذاته ، ولكن علاوة على ذلك ، فنحن نقول عندنا : هوم ! ولهذا قيمته .

هـــوج : لحظة واحدة ، يازميلى ، لحظة واحدة ! يبدو أنك تقلل من فضائل وبهاء صرخة وطنى التليدة : هوج !

هـــوم : أسمح لى . . .

هـــوج : انك على أى حال لن . . .

المعـــلم : أيها السيدان . . أيها السيدان . . ماحاجتكما إلى اثارة حرب هى قائمة فعلا .

زهرة اللؤلؤ : إني أتركك ، يانسيا.وعندما سترينى ،سوف يكون لى خوذة . . . لن يعود لزهرة اللؤلؤ وجود . . . قولى لى . . . هذا وعد .

ناســـيا : أعدك ، يازهرة اللؤلؤ . . أعدك .

نبع الجديان : لاترحل ، ياجان . . لاترحل . . ياجان . . .

هـــوج : وداعا ، أيها التاجر ، وداعا أيتها الدمية .

هـــوم : وداعا ، ياصاحبى . وداعا ، ياسمراء . .

ناســـيا : يازهرة اللؤلؤ ، اجر على الأرض مرفوع الذراعين

المعـــلم : تتمثل الراحة الحقة ، آخر الأمر في أن يجرى المرء ، أن يجرى دون أن يعرف إلى أين يجرى ، ولاأنه يجرى . ان طبول الدماء تخنق الألم .

ناســـيا : أمه من خلفه، تسير متعثرة في خطاها. يمشى الضابطان ببطء ، الكتف لصق الكتف . وكم هما عريضان كم هما عريضان ! أوه ، لقد أفترقا ! أمسك كل منهما بسلاح في يده . يبتعد كل منهما عن الآخر . هذا يذهب نحو الجبل ، وذاك نحو النهر . ماعدت أتعرف في غـــلالات الدخان لاعلى هـــذا ولاعلى ذاك . عتّمت السماء باسراب النمور المزمجرة . تعود السيدة نبع الجديان . تسير مثل بهيمة .

نبع الجديان : ناسيا ، أنت ، يأيتها الضفدعة العطنة ! أنت . . . . أنت السبب . . لو كانت لى أسنان ، لغرستها في ردفيك . بردفيك دفعته إلى مافعل .

ناســـيا : سينال القهوة بثلاث قطع من السكر ، واللحم البقرى المملّح ، ولفافة الكتان ، والخوذة . . .

نبع الجديان : الخوذة . . . آه ! شىء قذر ! لأنها شابة ، لأنها جميلة ، تعتقد أنها شابة ، وتعتقد أنها جميلة . لكننى أكثر شبابا منك ، أنا ! على الرغم من شعرى الأبيض فان الحب بداخلى أنا . أكان يجب أن تلفى ابنى بجدائل شعرك ، وأن تغرقيه في بحيرة ثغرك ، وأن تستهويه بأنوثتك الحيوانية ؟ وددت لو كنت امرأة أخرى غير أمـــه ! ياللشقـــاء ! يالشقائي ! يـــالشقائي الكبير ! اجـــرى ابحثى عنه . اجرى ، أيتهـــا الجرادة !

المعـــلم : جموع الناس تنسكب على الطريق مثل الماء . جموع

الناس تسيل مثل مثل نهر فاضت مياهه ! إنما الآلام للجميع .

تبع الجديان : الآلام آلامى أنا وحدى .

المعـــلم : أسمعوا . . .

الكورس

يجب أن نسير
في البرد . . . والحر
نحو السوق . . .
نحو السكين . . .
امش على رقبتك .
امش على ذراعيك .
لن تمشى
أبدا إلى النهاية .

صـــوت : هيه ! يابائع الخزف . . . هل تأتي ؟ تغيرت الأوامر على كل الناس الآن أن يخرجوا من باطن الارض .

تبع الجديان : أنت ، ياأيها المار ، ألم تر ابنى ؟

صوت : ابنك ؟ آه ! ابنها ! ماذا تظن هذه ؟ الابناء جميعا أين هم ؟ لم يبق من الابناء أحد. مامن ابن واحد بقى

الكورس

لابد أن تمشى . . .
من يدرى إلى أين . . .
الغفران مخبوء
والخطر في كل شبر .
امش على قدميك . . .
امش على يديك . . .

ولن تجد .
الطريق إلى الأبد .

نبع الجديان : سمعتموهم ! لن أرى ابنى أبدا . أنت يامعلم ، ماذا تعلّم ؟ ان لحيتك جوفاء . يتصور المرء أن هذه اللحى دريرة بالحكمة ، ولكن ماأن تجذبها ، ما أن تجذب هذه ، فانها لاتدر قطرة واحدة . واني ، منذ الآن فصاعدا ، لاأتحرك من مكاني . سأنزوى في ركن . سأعود إلى التراب . وأنت يافتاة ، يامن تلغين في الوحل ! فيما انتظارك ، اذهبى وتمرغى في أحضان الجموع .

ناسيا : سأذهب . اذا كنتُ كل هذا الذى تقولين فلاكن كذلك ! سأذهب أبيع إلىالمارة بضع حفنات من الارز . سأنال ، أقسم لك ، من المال مايعادلوزني

المعلم : ياصغيرتي ، ماذا ستفعلين بكل هذا المال ؟

ناسيا : الارز يجلب المال . والمال يجلب الأرز .

المعلم : قد يحاصرك جنود في الحارة أو بين الخرائب .

ناسيا : وماذا بعد ؟ إننى بلا قلب . هذه العنزة قالت ذلك . لكن اطمئن . اطمئن . سأحافظ على مالنا وأرزنا ، ولن يمسه سوء . أما أنت فاطلب إلى عصفورك أن يساعدك . يالها من حماقة !

المعلم

ياسيدى العصفور ، يامن تسمعنى
منذ اليوم الذى صنعتك فيه ،
كل اولئك الذين يتعذبون في الطرقات

يجب أن يشفوا مادمت على قيد الحياة .
يأيها الشيء المخيف الخالص ، ياأيها العجيبة الهائلة
شكّل فيك الاغنية من أجل الحب .
وصد الرعب والجنون بعيدا فلايكون لهما عودة !

متحدثـــا

ياسيدى العصفور ، أجب ، كى أسمع صوتك ،
فلينطلق صوتك وليمنح الشفاء .

نبع الجديان : ان رأسك أشد طراوة من ثمرة عطنة .

المعـــلم

غن ، أيها العصفور ، غن ! وليتحقق
العقاب الذى لا اسم له .
وليحطم صوتك الكابوس
الذى ندور فيه .

نبع الجديان : امرأة تسقط ! . . .

المعـــلم : غن ، ياسيدى العصفور !

نبع الجديان : بنتك الأفعى ، باعت ارزها . تقلّب بين يديها مالا وفيرا .

المعـــلم : تبخر اللاجئون مثلما يتبخر العرق ، عم السكون كل الارجاء . وصارت صحراء . واستحال ابنى جنديا . وتريد ابنتى أن تصبح غنية . والعصفور لم يغرد .

ناســـيا : أنا ، أغنى . ليس لى من العمر سوى ستة عشر ربيعا ومامن جندى قطع لساني .

(تغنى)

كان الكرز وشقائق النعمان

حلية تجمل المكان
ولكن ماقولكم في صدر من فولاذ ،
لفارس يحمل شارة من ذهب ؟
أين تذهب الآنسة ؟
تترك المنزل
تمزق النقاب !
وتحرق جدائل شعرها !

المعـــلم : من أين جئت بهذه الأغنية ؟

ناســـيا : يغنيها الجنود في كل مكان .

(تغنى)

المشغولات الخزفية والستائر
احتفظنا بها كما يحتفظ بالكنوز
ولكن ماقولكم في النمور العالمة
التى تطير وتقل أناسا على ظهورها ؟

المعـــلم : بالامس كنت ، ياصغيرة ، بالامس كنت تناغين دميتك .

ناســـيا : نار الحرب تنضج النساء . كسبتُ بأرزى في أمسية واحدة أكثر مما كسبته باطباقك منذ أن بدأت العمل

(تغنى)

بنغمات المندولينة والهارمونكيا
تعلو دقات قلوبنا
لكن ماقولكم في صليل
الكلاب المعدنية التى تنبح معا ؟

أين تذهب الآنسة ؟

نبع الجديان

إلى جمرة النار ،

وتهب جسدها .

(صائحة)

من أجل كل الجنود .

المعـــلم : إني متعب .

نبع الجديان : ماعاد عندك ماتقتات به . ذهب العنكبوت بكل شيء

المعـــلم : إني متعب . هذا العالم كتلة من الشقاء . يجب أن ينفجر في النهاية ! (أصوات مدافع رشاشة وقذائف منهمرة)

نبع الجديان : الحرب تنعق .

ناســـيا : إنها تموء .

نبع الجديان : هناك بروق .

ناســـيا : تشققت الأرض . وامتلأت بحفر عميقة .

المعـــلم : العالم مع ذلك باق هناك . البروق والشقوق والحفـــر هى النسيج الذى يتكون منـــه العـــالم . يعجبنى في مشغولاتى الخزفية انها تعرف كيف تسلم من الخدوش يامشغولاتى الخزفية ، انت يارفيقاتى ، ويا اخواتى ، لاعمل لكن إلاّ ابرازكن — بفضل المقارنة بـــين النقيضين — مافي الشر والشقاء من دمامة .

نبع الجديان : سيظفر الناس بالأشياء ، وستظفر الأشياء بالناس . ولا شيء سيبقى لأحد .

المعـــلم : وانت ، ياسيدى العصفور ، يامن انت اكثر وضاءة من لازورد النجوم . . ولست أقل قيمة وقـــدرة على التوازن والتصميم من أجنحة الطائرات السفاحة . انت ، ياسيدى لم تطلق رنين صـــوتك الذى يجلب العزاء . لست سوى قليل من الطين وقليل من طـــلاء خزفى . ان روحى ابدعتك ، ويدى شيدتك . ولا زالت ليدى القوة التى تدمرك .

ناســـيا : جدى . . . انت مجنون . . . بالطبع ، انه لايغنى . . . ولكن بامكانك ان تجعل منه حاملا للسكاكين . هلا تركته وشأنه . . . هلا تركته ! . . انك ترى انى اقوى منك (يدوى صوت نفير عسكرى) النفير ... نفير جيش هـــوج !

المعـــلم : جنس غريب حقا هؤلاء البشر . . جنس غريب . . . يسلخون اذنيك بمحركات نمورهم الهوائية ، وفجأة ، مثلما كان الامر ايام الملك ، مثلما كان الامر ايام الكاهن ، يشرب جندى رافعا كوعه ، لعابه من نفيره .

(يُسْمع نفـــير آخر)

ناســـيا : انه نفير جيش هوم ، هذه المرة .

المعـــلم : هل تحولت حربهم عديمة الرحمة الى حفل موسيقى ؟

ناســـيا : انهم آتون . بعت ارزنا بثمن اعلى من سعره .

المعـــلم : تحت وطأة الرماد العسكرى ، يبقى على الدوام ، وفي الواقع ، سجل الجابى وصورة الشريك مقـــدم رأس

المـــال . اتكلم عن الأمور مثل جعجاع . . . (جلبة معدنية) أليس هذا التميز بالنياشين التى ترن على الصدور ؟ (أوامر عسكرية ، صليل اسلحة) فـــرو . . . فيا . . . برو . . . بروبيا . . . برو . . . هوج !

ناســـيا : ياله من نابهة . . . ياله من عملاق ! تتلألأ على خوذته انجم بعيدة التقطها منظار بالألوان الطبيعية .

هـــوج : (يدخل) تحية ، ياقوم ! هل تذكرونني ؟ زرتكم منذ ايام قلائل . انا الجنرال هوج .

المعـــلم : ســـيدى !

هـــوج : سيدى الجنرال ، من فضلك . هكذا يجب انتناديني . من الآن فصاعدا الأرض كلها تحت القبعة العسكرية . سوف نقوم ، انا وزميلي هوم ، وقد سبق ان رأيتموه بدوره ، انه أفضل اعدائى ، سوف نقوم بعقـــد اجتماع ، في هذا المكان . لمـــاذا اخترنا بيتك ؟ انه الوحيد الذى يقف على قدميه . تصور ! الا تعرض على بضاعتك الرديئة اليوم ؟ ان رصيدى مرتفع .

المعـــلم : ان حماستى للتجارة هبطت ، ولكن لو أردت هذا العصفور الصموت الخداع ، فانى اعطيه لك . خذه .

هـــوج : ماذا افعل به ؟ لست صياد عصافير . شكرا . هيه ! هذه الصغيرة ناسيا . . . كم نَمَتْ وترعرعت . يخيل الى انى سمعت صليل اوسمة . (اوامر عسكرية صليل اسلحة) ستروم . . . ستى . . بريا .. هوم !

هـــوم : انا الجنرال هوم . يسعدنى ان اراك من جـــديد . دعنى اشـــد على يدك .

هـــوج : لاتشد عليها بقوة . يمكنك ان تصدقنى ان شئت ، تورمت يدى من كثر توقيعى لأوامر بالهدم .

هـــوم : لمن تقول هذا ! انا شخصيا كان على أن أربت عديدا من المرات على ظهر النمور المجنّحة حتى تخشّب ذراعى ، لكن هذه متاعب صغيرة .

هـــوج : اصبت القول . (بلهجة رسمية خطابية بعض الشىء) لمّا كان كل منا قد تلقى توكيلا من حكومته ، فاننا ننتهز هذه الهدنة كى نطرح . . . معذرة . . . كى نطرح اسس اتفاق . لكن كما تعرف ليس امامنـــا سوى الوقت الذى تحتاجه نملـــة لتطوف بقنبلـــة يدوية . ياجندى المراسلة ! ايه ! ياجندى المراسلة ! . . . الديك الحشرة الصغيرة ؟ اطلق سراحها . المفاوضات تبدأ . كانت فرصة ان وجدنا نملـــة حية في هذا الريف الذى حل به الخراب .

هـــوم : أحدثنا ، حقا ، كثيرا من الدخان حتى ماعدنا نتبين شكل الأرض ، ولا الدوافع التى دفعت الى هـــذا الدخان ، قل لى ، اليس من اجل المستنقعات عنـــد انعطاف المجرى جئنا الى كل هذه الضجة . ؟

هـــوج : مستنقعات عند انعطاف المجرى ؟ مستنقعات عنـــد انعطاف المجرى ؟ من المحتمل هذا . استولى على الاعتقاد لحظة ان الامر تعلق بغابة اشجار السندر ،

ولكن عندما فكرت في الامر وجدت انك على صواب تماما . انها المستنقعات !

هـــوم : المستنقعات وحق الآلهة جميعا . والآن ، هـــذه المستنقعات الشهيرة ، لمـــاذا تطالبون بها ؟ كل امرىء يعرف انها ترقد في سلتنامند ايام التنانين غليظة الجلد .

هـــوج : معذرة ! معذرة ! ارجع الى أى مؤلّفٍ في التعدين . ارجع اليه ! ستجد ان المستنقعات عند منعطف المجرى جـــزء من ارض جمهوريتى هوج . على اننا لن نطرح كل شىء على بساط البحث . انالمستنقعات عند المنعطف ، في هذه اللحظة ، زاخرة بالدبابات والمزاريق والدروع والخوذات الحديدية وعظـــام الجماجم ، وبذلك دبت فيها العفونة والعطن .

هـــوم : ارضها صلبة تدق عليها الكعوب كأنها تدق على رصيف في ميدان . ان موقع المستنقعات ينـــاسب بشكل رائع ان يقام عليه ملهى .

هـــوج : اى ملهى ؟

هـــوم : ملهى من ملاهى الليل ، اذا راق لك ذلك . وبامكاننا ان نفتتحه تحت اعلامنا المتصالحة . سوف يكون هناك رقص ! وهزليات ! ومشروبات مجـــدِّدة للقـــوة !

هـــوج : اما انا فأفضل ان ارى مكانها جامعة عالمية الاهتمامات تكرس جهودها لتضفى على الجغرافية مسحة اخلاقية.

هـــوم : فكرة ممتازة ! وانى اعجب بوفرة الاحتمالات الفياضة التى تتاح للنشاط الانسانى .

هـــوج : وفضلا عن ذلك يمكن ان نمزج بين فكرتينا . . . بين الملاهى ومعاهد العلم .

هـــوم : افكر في رقصـــة الخطوات الأربعة .

هـــوج : بل في المقاطعات الاربعة . . .

(موسيقى ، يقطعها فجأة ضوضاء وصيحات)

هـــوم : ما هذا ! ما الذى يجرى ؟

هـــوج : أمْرَنا بألاَّ يزعجنا أحد . ماذا يريد هذا الجندى ؟

زهرة اللؤلؤ : ياناسيا ! يامعلمى ، ياأمى !

نبع الجديان : ابـــنى !

زهرة اللؤلؤ : (مصاب بجرح قاتل) فزت . . بالخوذة ، ياناسيا ! فزت بالخوذة . نادينى بجان .

ناســـيا : جان ، تبدو في احسن مظهر . يالك من رجل وسيم ، ياجـــان !

نبع الجديان : ابـــنى !

زهرة اللؤلؤ : فزت بالخوذة ، ياناسيا ، كما في التصاوير . انتهى « زهرة اللؤلؤ » انتهى !

هـــوج : انه جندى من عندك .

هـــوم : وكيف نعرف ! جنودك وجنودى مظهرهم واحد .

هـــوج : قماش زى الجميع خشن ينطبق على اجسادهم فتبدو ملامحها حتى كأنهم عراة .

هـــوم : انه يترنح . . ينهـــار .

هـــوج : اعتقدانه انتهـــى .

نبع الجديان : يابنى . لقد جريت . يابنى ، انك ترتعش .

زهرة اللؤلؤ : حاربت . آه ! هناك ! هناك ! حاربت . كان ثمة مسامير تنفذ من كل الانحاء في الرخام من حولنـــا . زحفت . هربت . قفزت . اما الآن فأتوق الى النوم. يا اماه ، غنى لى .

نبع الجديان

(تهدهـــده)

نم قليلا
السمكة الحمراء في زجاجتها
تشترى لنفسها حلة رسمية تلبسها عندما تمطر
ماعادت تحب لباسها الأحمر .
مثل النـــار
ومن الآن حتى الغد لولم تحرك ساكنا
سوف تراها بملابس زرقاء

هـــوج : تمضى النملة في متعرج على استدارة القنبلة اليدوية ، ومن ثم ستكمل دورتها . ونحن لن نكون قد قررنا شيئا .

هـــوم : جندى المشاة هذا ، على وشك ان يلفظ انفاســـــه الأخيرة . لن تحتاج المسألة إلا بضع لحظات .

نبع الجديان
سيدثرك فـــرو
الســـمور
كى تتأرجح برفق
في مهدك المطرز .
ضع عليه فراءك
الذى يساوى ذهبا .
وستختفى المتاعب كلها
ما ان ينام الطفل ، بل انه نام فعلا .

هـــوج : لابد ان الرجل تلقى في بطنه من الرصاصات ماقيمتها اكبر من قيمته .

هـــوم : سيحرر الخصم فاتورة بثمن الرصاصات المستهلكة .

نبع الجديان
تحت النهـــر
ترقص الأفيـــال
على اجفـــان .
الاطفال الصغـــار .
ويَعِدُ الصغـــار
وهم نيـــام
بالا يتبعوا نجما مذنبـــا أيا كان
خارج دائرة امهاتهم الرقيقات

هـــوج : انا مات .

هـــوم : هـــذا واضح .

نبع الجديان : انه لكما ، يا أيها السيدان ، يمكنكما أخذه ! خذاه ! لم يعد ابنى سوى دمية تلبس خوذة . وفي سنى ، ماذا تريدان ان افعل بدمية ؟

المعـــلم : أيتها السيدة نبع الجديان !

نبع الجديان : انتما هنا امامى . انتما الاثنان ، ممتلئان حيوية ، بينما ابنى مات . وددت ان تحادثكما امهات اخريات كما احدثكما انا ! تسمعانهن ، على ما ارجو ، في كل الارجاء ، يبكين . هذه تزمجر ، وهذه تولول ، وهذه تصرخ . الأمر قاس . (موسيقى متنـــاثرة النغمات) أتسمعانهن ؟ كل منهن تستجدى ابنها . والابناء يطالبون بمـــا فقدوا من اعضائهم . ذراعى ! ساقى ! ركبتى ! كم من حساب عليكما ان تؤدياه . احس بالخوف . احس بالخوف من اجلكما .

المعـــلم : اصمتى ، ايتها السيدة نبع الجديان . ليس الجنرالات مسئولين عن الحرب باكثر ممـــا انت مسئولة ، ايتها الأم ، عن شهوتك الحسية . مقدَّرٌ على الاطفال ان يخرجوا من الطفولة وذات يوم ، من الحياة .

نبع الجديان : لم يعد لى بيت . لم يعد لى ثديان . لم يعد لى مكان آوى فيه خُطَبَكُمَا . مات ابنى ، وهذان المهرجان لم يموتا بعد . ان شقائى كبير بحجم الأرض كلها . آه ! انتما الاثنان هنا ، تحبان المعركة ! آه ، وتميتان الابناء ! لمـــاذا لاتتعاركان مثل الرجال ! لمـــاذا لاينقض احدكما على الأخذ باسنانه وقبضتيه ؟ هيا ! ايها السيدان المستبدان ! اسرعا ! اظهرا لنا شجاعتكما !

فليقتل احدكما الآخر ، ايها السيدان ! قررا ، قررا حربكما ، بان ينهش كل منكما عنق الآخر . ماذا تنتظران ؟ هل يجب ان القى عليكما هذه الدميـــة ، هذا الجدى الحبيب الوديع ، الذى من فرط رقته لن يرى نظرتى تستقر عليه ابدا .

هـــوج : سيدتى ، نحن هنا كى ننهى هذا الصراع الذى كانت له ضحايا كثيرة .

هـــوم : نحن نشاركك احزانك . سوف تنالين تعويضا .

هـــوج : تعويض ، ياسيدتى الطيبة ، اربعة اكياس من النقود الذهبية ، صقلتها اصابع اكثر المحاسبين بشاشـــة .

هـــوم : فلتعزف الموسيقى . مادام ان هذه وظيفة الموسيقى ، فلتعزف الموسيقى احتفالا بالمجد وعظمة الحرب والعذاب والحب والغوامض المستعصية على الحـــل التى تسبح حول الانسان .

هـــوج : وانتم ايها الجنود ، انتم ايها الجنود ، من اجل زميلكم انشـــدوا !

الكـــورس

على حـــديد المركبـــة
رن الحســـام .
ايها الجندى ، انها ســـاعة
الفراق الأخـــير .

نبع الجديان : كان هزيلا . كان نحيـــلا .

ناســـيا : كنت اسخر منه بعض الأحيان .

(موسيقى عسكرية)

الكـــورس

الأقـــوى
والأعظـــم
من اســـتبد به
حب المـــوت .

نبع الجديان : كان بالامكان ان يعرف شفتى فتاة .

ناســـيا : انا أولى الفتيات ، لو كان قد جرأ لتلقيت قبلته .

(موســـيقى)

الكـــورس

السقوط صـــعود .
النـــار ماعادت تلســـع
اخى ، نلت
الســـكينة .

نبع الجديان : يحب الجنرالات الموسيقى كثيرا . سأحمل ابنى الى ناحية المقـــابر . (تحمل ابنها الميت على ظهرها)

هـــوج : سنبعث في رفقتك جنودا .

نبع الجديان : لست بحاجة الى جنود . يكفينى ظهرى . تعـــال ، يابنى ، تعال مع امك . سأنام الى جوارك . ســـنبحر جنبا الى جنب ، وقد ادار كل منا عينيه نحو الآخر .

ناســـيا : ســـأرافقكما .

نبع الجديان : كلا . . . ابقى . . . كلا . . . ابقى معهما . واضح ان افكارهما تتجه نحوك .

هـــوج : بسرعة ، يازميلى العزيز ، بسرعة ! فلنلعب على المكشوف ! عندى خريطة الارض . سوف نبسطها .

هـــوم : عندى ايضا خريطة الأرض . ولكن على خريطتك وعلى خريطتى لاتقع المستنقعات والغابة في المكان ذاته .

هـــوج : هيه ، حسنا ! ستكون الفتاة خريطتنا .

هـــوم : اصبت . الفتاة خريطتنا ! اصبت ! ، استلقى يافتاة على هذا الحصير .

ناســـيا : انا ؟

هـــوج : كونى فخورا . تحت انظارنا ستمثلين الأرض .

ناســـيا : انا ؟

(يرقدان ناسيا على الحصير)

هـــوج : شعرك يمثل الحافة غير المحدودة للسماء التى ترتعش عند الافق .

هـــوم : عذوبة شبابك في مـــد وجزر مثل البحر .

هـــوج : الزهور المطبوعة على مئزرتك تمثل معالم الاقليم . وها هى عطفة المستنقع .

هـــوم : ها هى الاشجار . ها هى الغابة .

ناســـيا : ايها السيدان ، ايها السيدان ، سيفاكما يلمعان فـــوق جسدى . ايها السيدان ، ايها السيدان ، لست من الخزف أو الحجر .

هـــوم : طرف سيفى سيجول عليك مثلما سن الريشة الاسود على الورق .

هـــوج : سيجرى سيفى على جسدك بالشروط التى يمليها قلم حكيم .

هـــوم : تتبع الخط الذى اشقه . انى اخذ ما هو ممتد من هنـــا الى هناك . انى افصل منعطف النهر ، واحتفظ بالوادى ما بين الربوتين الصينيتين وأقتسم الغابة . اتوافق ، ياجنرال هوج ؟

ناســـيا : احس بانى تمزقت تمـــاما .

هـــوج : هذه القسمة ، ياجنرال هوم ، في مصلحتك . انك تأخذ افضل الاجزاء . فليخط طرف سيفى بدوره رغبتى ! انى امنح نفسى المنحنى الواقع بين المرتفعات المكسيكية .

ناســـيا : انى ادمى . ادمى . ادمى .

هـــوج : لن تحصل على بوصة ازيد من ذلك .

هـــوم : العدل بجانبي ، والعرف يؤيدنى .

المعـــلم : انكما تقتلانها . تمزقانها . سيفاكما يعذبان مثل فكين مفترسين .

(موسيقى)

ناســـيا : اتفق السيفان على النفاذ الى القلب . عرفت ان لى قلبا في اللحظة التى افقده فيها . كل شيء يضحى سوادا .

هـــوم : النملة تكمل دورتها . انتهت الهدنة !

(ابواق)

هـــوج : الحرب تزهر من جديد أيتها الأبواق دوى بالدعوة الى الحرب !

(ابواق)

هـــوم : انت ، يابائع الخزف ، ماذا تفعل ؟ لماذا تمسك في يدك العاجية بهذه القنبلـــة ؟

هـــوج : القنبلة قابلة للانفجار ، لاتنس ذلك . وبقوة لاعلاج لها على مدى اربعة آلاف فرسخ . احترس .

هـــوم : احترس !

المعـــلم : رأيت البيوت تتقاطر مهدومة مثل البهائم تحت وقع العصا . رأيت الجموع تجرى مثل نهر استبد بـــــه الخوف . رأيت من يموت . وليس الموت شـــــيئا ذابال . رأيت من يتعذب . ليس من الممكن ، ليس من الممكن ان يكـــون العذاب شكلا من اشكال الخير . فلتنفجر هذه القنبلة .

هـــوج : احترس !

هـــوم : قلت لك احترس ! انها تقتل .

(تنهمر انغام موسيقية بلا قياد صاعدة هابطـــة ، في حركة لولبية يشوبها شيء من البهجة . خليط من الموسيقى الكلاسيكية والالحان الراقصة ، ينتهـــــى بتتابع من الانغام يتزايد تفككها وتختتم بنغمة واحدة رصينة سخية) .

المعـــلم : كان الأمر ومضة . كان مفاجأة . رأيت الجنرالين يدوران دورة سيفيهما . رأيت الفتاة تنشقُّ وتتكاثر ، كأنها قنبلة تتناثر منها فتيات يرمقنني بابتسامة . رأيت الموتي وقد ارتسمت على وجوههم اعمار الحيـــاة كلها ، يجرون نحوى وقد امتلأت ايديهم بالعذاب وقصائد الشعر . وانا الآنميت بدورى. ليس لى ساقان ليس لى كتفان . أوجد في مكان اجهله ، ولكن هذا الذى بقى منى لايزال يحس بالنغمات وهبّات الهواء . وفضلا عن ذلك ، فاني ادرك انى ارى . ارى بيتى والخزف . ارى العصفور الذى كان يجب ان ينقذنا. شرخته القنبلة لكنها لم تدمره . اني اسير . اتحرك . افهم . مات الجنرالان ، ومع ذلك فالحرب ماضية في كل مكان من حولى . تلميذى مات ، اما انـــا فسليم لم أمس . هذه كلمة تنتقص من الحقيقـــة . اما انا فمازلت انا ، ألمس صدر العصفور البراق . اني امتزج مع القدرة المستكنة . سأناى بمضاء عـــن كل انواع السلاح ، واستحسن الانسجام المتماسك في جميع الأحوال . لكن اشفاقي لازال باقيا ومرتبطا بحياة الاحياء . هل تريدون ان يغرد العصفور فجأة وتنتهى الحياة الى الأبد ؟ (تنمو نغمة حـــــادة ، صاعدة ، وتمتزج رويداً رويداً باصوات مبهمـــة تتوسل في صخب مشبوب العاطفة) كلا ؟ كلا ببساطة ؟ اذن ، هل نستمر ؟